

*Dirassat & Abhath*  
The Arabic Journal of Human  
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث  
المجلة العربية في العلوم الإنسانية  
والاجتماعية

*EISSN: 2253-0363*  
*ISSN : 1112-9751*

التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين (3-6هـ/9-12م)

Scientific communication between the middle Maghreb and Andalus

(during the two centuries (3-6 AH / 9-12

مصطفى داودي Mostefa Daoudi

مخبر الدراسات التاريخية والانسانية Laboratory Historical studies And humanity

جامعة الشهيد زيان عاشور . الجلفة . University Ziane Achour - Djelfa

البريد الإلكتروني: Daoudi.m73@gmail.com

تاريخ القبول : 2020-12-11

تاريخ الاستلام : 2020-08-05

## ملخص:

شهدت بلاد المغرب الأوسط والأندلس تحولات سياسية كبيرة خلال مرحلتي القرن الثالث والسادس الهجريين ، كان لها الأثر المباشر على التواصل العلمي بينهما ، وانعكس على الحياة فيهما في مختلف الجوانب ، ومما أضفته تلك الثقافة الأندلسية على بلاد المغرب الأوسط مثلا هو تشجيعها للتنافس العلمي بين الطلاب والاحتفاء بالعلماء القادمين من الأندلس إلى بلادهم ، كما أضفت تنوعا معرفيا لافتا في شتى العلوم ، و انفتاحا للطلبة والمجتمع عموما على ثقافات جديدة زادت في النضج الفكري والعلمي وحتى الأخلاقي ، ومن الجوانب العلمية ظهور النزعة إلى التأليف والكتابة في سائر العلوم.

كلمات مفتاحية: المغرب ، الأندلس ، المغرب الأوسط ، التحولات السياسية ، التواصل العلمي.

## Abstract :

Countries have seen of the middle Maghreb And Andalusia , Great political transitions During the third and sixth centuries AH , It had a direct impact On Scientific communication between them, And reflected on the life in them In various aspects , It is that spread Andalusian culture in a middle Maghreb ; And the journey of students and scholars between them.

1. مقدمة:  
ذلك التواصل العلمي المستمر بينهما ، ومن بين ذلك التواصل ما كان بين الأندلس وبلاد المغرب الأوسط ، خاصة خلال القرنين الثالث والسادس الهجريين/ التاسع والثاني عشر الميلاديين ، من حيث التطورات والأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية بين مدينتها وحواضرهما ، ويكتسي هذا الجانب أهمية كبرى بالنظر لانعكاس هذا التواصل على جوانب مؤثرة في هذه البلاد سواء من حيث المناحي الاجتماعية أو الحضارية.

بناء على ما ذكرنا آثرنا تناول موضوع العلاقات الثقافية الأندلسية مع المغرب الأوسط ، من باب التواصل العلمي بينهما وقد جاءت دراستنا هذه موسومة بعنوان:

(التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين (3-6هـ/9-12م))

من خلال كل ما سبق جاءت إشكالتنا لهذا الموضوع كالآتي :

كيف كان مسار التواصل العلمي بين عدوتي المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين (3-6هـ/9-12م)؟

المتتبع لتاريخ الغرب الإسلامي بصفته الأندلسية والمغربية يجده تاريخا يحمل ذلك الترابط المستمر في مجمل الأحداث التاريخية عبر مختلف العصور ، وقد انعكس هذا الترابط على الحياة فيهما في مختلف المجالات ، سواء السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية والاقتصادية وغيرها ، ولكن اللافت أن هذا الترابط يمكن أن نميزه بين مرحلتين مهمتين ومختلفتين كان المعلم الفاصل بينهما هو الفتح الإسلامي للأندلس سنة (92هـ\ 711م) ، هذا الأخير الذي غير معادلة العلاقة بينهما تغييرا جذريا ، انتقلت فيها الضفة المغربية من تحمل عبء السطوة الأندلسية بحلتها القديمة ، إلى أخذ بلاد المغرب زمام المبادرة وطرق باب الضفة الأندلسية في حلة جديدة ميزتها قوة دعوة الإسلام .

ومع استحكام الإسلام وأهله لكلا العدوتين بدا التحول كبيرا في مختلف مجالات الحياة ، كان أبلغه تلك التحولات السياسية الكبيرة التي حدثت فيهما معا ، والتي تمايزت فيها الأندلس عن بلاد المغرب حينما وامتزجت معها حينما آخر ولكن الثابت فيها هو

\*\*\*\*\*

ومن رحم هذا الإشكال تبرز العديد من التساؤلات أبرزها:

ما هي عوامل الجذب العلمي المتبادل بين عدوتي المغرب الأوسط والأندلس؟ وكيف تم ذلك التواصل العلمي بينهما؟

الحديث عن التواصل العلمي الحاصل بين ضفتي البحر المتوسط في شقيه الأندلسي والمغربي خلال العصر الوسيط ، يجد بأنه كانت تتحكم فيه عوامل متعددة ، تشد الانتباه ، كان أبلغها العامل السياسي بالنظر لارتباطه الوثيق بما هو ثقافي والعكس ، وقد رسمت هذه العوامل الواقع الذي انبنى عنه مسار ذلك التواصل بين العدوتين .

بناء على ما ذكرنا آثرنا التعمق في الموضوع من خلال جانبين مهمين: أولهما: عوامل الجذب العلمي المتبادل بين ضفتي المغرب الأوسط والأندلس ، وثانيتها: واقع التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والأندلس (3-6هـ/9-12م).

2- عوامل الجذب العلمي المتبادل بين ضفتي المغرب الأوسط والأندلس :

بناء على الواقع السياسي المتحول في العدوتين بكل ما يحمله من إيجاب وسلب ، فإنه لم يتوقف عند حد السياسة بل انعكس على مجمل الجوانب خاصة الجانب الثقافي الذي شهد جدلا كبيرا بين العدوتين سواء في زمن السلم أو أثناء التوترات والحروب ، ومثما أشرنا فإن هذا الجدل الثقافي قد أملتته عوامل متعددة ومتنوعة ، فماهي عوامل الجذب الثقافي بين المغرب الأوسط والأندلس؟

ارتبطت بلاد المغرب والأندلس بصلات تاريخية وحضارية وثيقة منذ القدم بسبب القرب الجغرافي والرحلات المتبادلة بين القطرين<sup>1</sup> ، ويرجع ذلك الترابط إلى التوسع الفنيقي في سواحل بلاد المغرب والأندلس<sup>2</sup> ، وذلك عن طريق البحرية من خلال التجار الذين أسهموا في الاتصال الثقافي والحضاري بين العدوتين أما في العصر الإسلامي فقد ازداد التواصل الحضاري بين المغرب والأندلس بحكم المستجدات الجديدة والروابط القوية التي توثقت بناء على اللغة والدين وكذلك رابطة التصاهر التي أحدثت تمازجا عرقيا قويا ، وقد تعززت الوحدة الثقافية بين العدوتين المغربية والأندلسية بسبب عدة عوامل منها :

ينبغي الإشارة إلى أن تناول هذا الموضوع قد جاء لغايات بحثية مهمة ، باعتبار أن الدراسات التاريخية سواء في أصولها المكتوبة أو من خلال الكتابات التاريخية اللاحقة ، لم تتعمق بالتفصيل في ذلك التواصل العلمي الذي أملتته التحولات السياسية التي عرفتها ضفتي الأندلس وبلاد المغرب الأوسط ، وبناء على هذا فإننا نهدف من وراء هذه الدراسة الوقوف على تلك العلاقة الثقافية التي حدثت بين العدوتين ، سواء من حيث العوامل أو من حيث المسار.

ولأجل التعمق في هذا الموضوع بغية الوصول إلى غايته المرجوة فإننا اعتمدنا على آليات منهجية مهمة نوجزها في الآتي :

#### 1- آلية المنهج التاريخي :

ويعد هذا المنهج أقوى آلية يمكننا الاعتماد عليها في سبيل تحقيق غايتنا المرجوة لاعتبار أن طبيعة الموضوع التاريخية تحتم ذلك ، وينبغي الإشارة أن استعمال هذا المنهج لا يقتصر على الصياغة والسرود التاريخيين ، بل هو أعمق من كل ذلك من خلال قراءة الروايات المتعلقة بالموضوع وتلقيها وممارسة جواهر قواعد المنهج القائمة على النقد والتمحيص ، واستعمال هذا المنهج في موضوعنا هذا يتعلق بالروايات المتعلقة سواء بالتحولات السياسية في كلا العدوتين ، أو ما جاء في الأصول التاريخية حول ذلك التواصل العلمي الحادث بين العدوتين من حيث الأسباب والتطور والانعكاس .

#### 2 – آلية المنهج الإحصائي :

وهذا المنهج نستعين به في كثير من الأحيان لما نجد أنفسنا أمام مواضيع تتطلب الإحصاء سواء العددي أو الموضوعاتي ، وموضوعنا هذا يتطلب هذه الآلية من المناهج لأننا أمام موضوع يتطلب منا إحصاء من شقين سواء للشق السياسي من خلال تلك التحولات السياسية الحادثة ، أو الشق الثقافي من خلال إحصاء تلك الموجات الثقافية في كلا الاتجاهين سواء الأندلس أو بلاد المغرب الأوسط .

## أ - القرب الجغرافي :

ورغم كل تلك التحولات التي ذكرنا وعواملها المؤثرة فيها ، إلا أنه كان لازدهار الثقافة وانتشارها في ربوعها ، نتاج حواضرهما العلمية ومراكزها الثقافية ، الأثر الفاعل في إشعاعهما العلمي والثقافي ، وبالتالي تشكيلهما للجذب الثقافي المتبادل بينهما ، خصوصا حينما أصبح للدين والعلم مكانة رائدة ، بهما يحظى العلماء وطلاب العلم بالتشجيع والتقريب وكفاية المؤونة ، وفي هذا الإطار شهدت المغرب الأوسط العديد من الحواضر العلمية التي كانت قبلة للعلماء وطلاب العلم ومن ذلك نذكر:

1- تاهرت : تأسست ما بين 150 - 161هـ على يد عبد الرحمان بن رستم (ت168هـ) ، وقد كانت معبرا للأندلسيين إلى المشرق ، وعدت من أهم المراكز الثقافية في بلاد المغرب<sup>5</sup> ، بالنظر للعمل الكبير الذي قام به الأئمة الرستميون منذ نشأتها ، على تشجيع الحركة الثقافية وتشكيلها جاذبية كبيرة لطلاب العلم والعلماء من المشرق والمغرب ، حتى عدت بغداد بلاد المغرب<sup>6</sup> ، وقد وصف المقدسي تاهرت بقوله : ( تاهرت هي اسم القصبه ... وهي بلخ المغرب قد أحدقت بها الأنهار والتفت بها الأشجار ... وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب .. يفضلونها على دمشق ... وعلى قرطبة وأظهم أصابوا ... وهو بلد كبير كثير الخير ، رشيق الأسواق ، غزير الماء ... )<sup>7</sup> .

2- بجاية : وهي من أهم الحواضر المغربية التي تشد إليها الرحال ، انطلاقا من العصر الحمّادي ، الذي تبوأ فيه مكانة علمية وحضارية مرموقة ، وأصبحت منارة إشعاع للعلم والمعرفة ، استهوت مشاهير العلماء والفقهاء والقضاة والمفتين من المغرب والأندلس<sup>8</sup> . وكانت بجاية عاصمة الرياضيات ، حيث أخذ الأوربيون عنها الأرقام العربية والجبر والهندسة ، حتى قيل فيها :

دع العراق وبغداد وشامها فالناصرية ما إن مثلها بلد

برّ وبحر ومرج للعيون به مسارح بان عنها الهمّ والنكد

وكانت مساجدها مكتظة بطلاب العلم والأدباء من مختلف المناطق<sup>9</sup>

وهو من أكثر العوامل التي توثق العلاقات بين إقليم وآخر ، والصلات بين المغرب والأندلس كانت قريبة ، فالمضييق الفاصل بينهما كان من السهل عبوره في أي وقت ، لذلك كان يعد قناة هامة في التبادل الثقافي والانتقال بين العدوتين .

## ب - تشجيع الحكام والأمراء للعلماء وطلبة العلم :

عرف عن الحكّام والأمراء الذين توالوا على حكم المغرب الأوسط بتشجيع العلم وأهله ، وتنشيط الحراك الثقافي والعلمي في هذه البلاد ، وحث الطلبة على التعلّم والدراسة ، في مختلف المؤسسات المعتمدة آنذاك ، وفي ذلك كانوا يحدثون جو من التنافس العلمي بين الطلاب والشعراء والأدباء ، وكذلك رغبة في إضفاء جو من الأبهة والذكر الخالد لبلاطهم ، ومن هؤلاء أمراء الدولة الصنهاجية خاصة في عهد المعزّ بن باديس (ت454هـ) الذي اعتنى بنشر العلمي وتشجيع أهله ماديا ومعنويا ، وكان يقربهم إليه ، وكان سلاطين هذه الدولة يتنافسون على استجلاب العلماء وتكريمهم ، وتقريب الأدباء والشعراء ، وما تطلب من إنشاء المدارس والمكتبات ومراكز الترجمة ، وكذلك أمراء المرابطين الذين شجعوا على العلم والتعليم ، وعنوا بتقريب العلماء إلى مجالسهم ، ومن هؤلاء الأمراء يوسف بن تاشفين الذي اشتهر بتقديره العظيم للفقهاء والعلماء وأخذ مشورتهم في مسائل تسيير دواليب الحكم<sup>3</sup> ، وبهذه الصورة أيضا حافظ الموحدون على مكانة الدين والعلم وتشجيع أهلها وتقريب طلبية العلم وإدراج الأرزاق عليهما وقد قال يعقوب المنصور: ( يا معشر الموحدين أنتم من نابه أمر منكم فزع إلى قبيلته ، وهؤلاء الطلبة لا قبيل لهم إلا أنا ، فمهما نابهم أمر فأننا ملجأهم وإليّ فزعهم وإليّ ينتسبون<sup>4</sup> ، ومما زاد في ازدهار الحركة الثقافية في العصر الموحد ، هو احتضان الخلفاء للنشاطات العلمية والأدبية ، وتشجيعهم لشتى العلوم دون استثناء بما في ذلك الفلسفة ، كما فتحو قصورهم لاستقطاب الأدباء والشعراء ، يضاف إلى ذلك أن أمراءها كانوا من ضمن رجال الثقافة شعرا ونثرا وعلماء .

ج - الحواضر العلمية في بلاد المغرب الأوسط وما شكلته من عامل جذب:

بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب وكذا لطلاب العلم ، كما ترجم الحميدي في كتابه (جذوة المقتبس) لكثير من علماء العدوتين قد مروا طلبا أو أداء للعلم ، أما الخشي فقد ذكر في كتابه (قضاة قرطبة) انتقال العديد من قضاة قرطبة إلى بلاد المغرب<sup>14</sup> .

3- واقع التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والأندلس (3-12/9هـم):

القارئ لتاريخ الغرب الإسلام عموما يجده مليئا بالتحويلات السياسية سواء في الأندلس أو في بلاد المغرب عموما وبلاد المغرب الأوسط خصوصا لدواعي الموضوع الذي نحن بصدده ، ويجد مع هذه التحويلات ذلك الانعكاس الذي نجم عنه على جوانب كثيرة من الحياة فيهما ، وكان أبلغها الجانب الثقافي الذي شهد تواسلا لافتا عبر الفترات التاريخية خلال العصر الإسلامي الوسيط ، وقد جمعت هذه التحويلات من حيث تأثيرها بين متناقضات واضحة سواء في جانبها السلبي أو الإيجابي من حيث الجذب الثقافي ، وقد وجدنا بأن ذلك التواصل الثقافي الحاصل قد أملتته عوامل متعددة كان أبرزها الجانب السياسي مثلما رأينا من خلال تلك التحويلات ، ويعد هذا الجانب من أبرز تلك العوامل بالنظر للارتباط الوثيق بين السياسة والثقافة ، وكل واحد منهما يعد أساسا في قيام أو بقاء الآخر ، وقد وجهت تلك العوامل جميعها مسار ذلك التواصل عبر الفترات التاريخية الوسيطة في كليهما وأخذ أبعادا ومناحي متعددة نوجزها في الآتي :

3-1 التواصل العلمي من الأندلس نحو المغرب الأوسط :

وقد برز ذلك الجدل الثقافي الأندلسي في بلاد المغرب من خلال انتقال طلاب العلم والعلماء الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط ، وكان للتحويلات السياسية الأثر الأكبر في الجدل سواء من باب الجذب بسبب دور الأمراء المتعدد مثلما ذكرنا ، أو نتاج الأزمات والحروب مثل الاستيلاء النصراني على كثير من المدن الأندلسية عبر فترة زمنية طويلة رغم محاولات التصدي من فترة لأخرى ، أو تلك الصراعات القائمة بين الثورات الناشئة والدويلات القائمة أو المستجدة ، وكان نتاج كل ذلك انتقال كثير من طلاب وعلماء الأندلس إلى بلاد المغرب عموما ومنها بلاد المغرب الأوسط ومن نماذج هؤلاء نجد:

3- تلمسان : وهي من أهم المراكز الثقافية التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط وقد أسس مدينتها الجديدة يوسف بن تاشفين سنة 473هـ وأصبحت عاصمة للمرابطين ، وباتت تشهد نضجا ثقافيا رائدا جعلها تفرض نفسها بين حواضر العالم الإسلامي<sup>10</sup> .

4- طابنة : وعدت من ألمع المراكز الثقافية والحضارية في منطقة الزاب ومن أكبر المدن فيها ، واشتهر الكثير من أبنائها ، حيث أسهمت كثيرا في نشر الإشعاع الثقافي في ربوع الصحراء المتاخمة لها<sup>11</sup> .

د - الصراع المذهبي وما انجر عنه من تأثير على العلم والعلماء : على إثر قيام الدولة العبيدية الشيعية في بلاد المغرب سنة 296هـ/908م ، حاولت تلك الدولة نشر مذهبها الشيعي ودعوته الشيعية في بلاد المغرب والأندلس أيضا ، وفرض هذا المذهب على أهل البلاد وقد دفع علماء بلاد المغرب السنة ثمنا باهضا جراء ذلك ، ففي وقعة أبي يزيد مخلد بن كيداد خمسة وثمانين من نخبة علماء القيروان ، لقوا حتفهم ومئات آخرون تعرضوا للتعذيب والتنكيل ، مما اضطرهم للهجرة إلى الأندلس<sup>12</sup>

هـ - الصراع السياسي وما انجر عنه من تأثير على العلم والعلماء: ومن ذلك الصراع الصنهاجي العبيدي والذي انجر عنه الحملة الهلالية على بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري والتي انعكس عنها مغادرة الكثير من العلماء وطلاب العلم إلى الأندلس ، ومنهم علماء وطلاب من المغرب الأوسط<sup>13</sup> .

وبالمقابل عند سقوط الدولة الأموية ارتحل كثير من العلماء وطلاب العلم الأندلسيين إلى بلاد المغرب نتيجة للتدهور الكبير الذي أصاب البلاد جراء ذلك . كما كان للصراعات في العهد الموحد تأثيرا على المجال الثقافي في بلاد المغرب والأندلس عموما خاصة في عهد عبد المؤمن بداية من سنة 535هـ ، وذلك لأن الصراع في عهده انتقل إلى المراكز العلمية والحضارية مما أثر على عطائها وجذبها وكان ذلك مدعاة لانتقال العلماء وطلاب العلم بعيدا عن هذه الصراعات .

و - الرحلة العلمية وتشجيعها لانتقال طلاب العلم بين العدوتين: كانت الرحلة العلمية من العناوين البارزة بين العدوتين في الربط الثقافي بينهما ، وقد ترجم المؤرخ ابن الفرضي في كتابه (تاريخ علماء الأندلس) لأكثر من مائة عالم رحلوا من

مناطق متعددة في المغرب والمشرق وتعلم على كبار علماء الصوفية وعلى رأسهم (عبد القادر الجيلاني)، وعند عودته من بلاد المشرق استوطن (بجاية) فكثر أتباعه وزاد صيته، فاستدعاه (يعقوب المنصور الموحي) إلى مراكش فقصدها، ولكنه لما بلغ تلمسان توفي فيها سنة 594هـ / 1198م ودفن فيها<sup>20</sup>، وكذلك الفقيه أبو الحسن علي الشهير بابن الزيات (ت في منتصف القرن 6هـ / 12م) وقد انتقل إلى بجاية، واللافت أن عمل الفقهاء الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط تركز في تدريس أمهات الكتب الفقهية، ووضع التقاليد الفقهية التي انتشرت بين الطلبة فقصده مجالسهم الخاص والعام، وخصص البعض مجالسة للطلبة فقط.

وجاء أيضا أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الأندلسي الإشبيلي المعروف في زمانه بابن الخراط (ولد سنة 514 هـ، وتوفي سنة 581 هـ) فقيه أندلسي، واستقر به المقام في بجاية أين لزمه طلاب العلم، وفيها صنف التصانيف، واشتهر اسمه، له كتاب "الأحكام الصغرى" و"الوسطى" وأيضا كتاب "الأحكام الكبرى" وولي الخطابة في مساجد بجاية، كما وفد على تلمسان الفقيه (صالح بن أبي صالح خلف بن عامر) من مالقة، والذي وفد إليها طالبا للعلم، حيث تتلمذ على أعلام العصر حتى صار فقيها، ثم غادر إلى تونس وتوفي سنة (586هـ)، وكذلك الفقيه (أحمد بن سلامة) (ت599هـ) الذي وفد إلى تلمسان أيضا من (لورقة)، والمقريئ الحافظ (أبو نصر فتح بن يحيى بن سلامة الأندلسي)<sup>21</sup>.

وقد قوى الاتصال الحضاري بين العدوتين في العهدين المرابطي والموحدي، بحكم الوحدة السياسية بين الأندلس وبلاد المغرب، وهو ما زاد في التواصل الثقافي بينهما، لدرجة أننا نجد في البلاط المرابطي منذ عهد يوسف بن تاشفين العديد من العلماء والأدباء الأندلسيين في مناصب الوزارة والكتابة<sup>22</sup>. ومن هؤلاء الكتاب محمد بن سليمان الكلاعي المعروف (بابن قصيرة) (ت508هـ)<sup>23</sup>، أما في العهد الموحي فيلاحظ انتقال الكثير من مظاهر الفن الأندلسي إلى المغرب، وفي هذا السياق يقول ابن خلدون: (.. وأما المغرب فقد انتقل إليه منذ دولة الموحيين من الأندلس، حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الأندلس وانتقال العديد من

- أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان (342 - 413هـ / 953 - 1023م)، وقد قلده المنصور محمد بن أبي عامر قضاء الجماعة بعهد الخليفة هشام بن الحكم سنة (392هـ / 1002م)<sup>15</sup>، وفي سنة 401هـ تم طرد بني ذكوان من الأندلس إلى العدو المغربية، نتيجة الصراع السياسي الحاصل بسبب مكائد واضح الصقلي، لأن ابن ذكوان كان يدعو للسلم والصلح مع البربر، فقدم إلى وهران سنة (401هـ / 1010م)، وقد كان قدومه فرصة لطلاب العلم للاستزادة من علمه وثقافته الواسعة<sup>16</sup>.

- أبو عبيد البكري الأندلسي (ت 487هـ) وهو من جغرافي القرن الخامس الهجري، وقد نشأ في عصر ملوك الطوائف، وصفه ابن الأثير بأنه من مفاخر الأندلس، وهو أحد الرؤساء الأعلام<sup>17</sup>، وله كتاب: (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) وهو جزء من كتاب (المسالك والممالك)، وقد وصف فيه كل ما تعلق بجغرافيا الأرض لبلاد المغرب، والأقوام وكيف كان حالهم وعاداتهم.

وفي أواخر القرن الخامس الهجري مَرَّ ببلاد المغرب الأوسط من الجغرافيين الأندلسيين أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري، وقد سجل رحلته في كتابين الأول بعنوان (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة)، وهو كتاب مفقود، أما ما ورد منه من نقول فجاءت عند حسين مؤنس من خطبة شواه الجلة. أما كتابه الثاني فعنوانه: (قانون التأويل) وقد عثر عليه إحسان عباس<sup>18</sup>، وفي القرن السادس الهجري جاءت لبلاد المغرب رحلة أبو عبد الله محمد الإدريسي (493 - 560هـ)، وقد دَوَّن في رحلته كل ملحوظاته في بلاد المغرب الأوسط من خلال كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)، وكان لأبو حامد الغرناطي (ت 565هـ) ذات التوجه في التدوين من رحلته التي قادته إلى بلاد المشرق وكانت بلاد المغرب من ضمن رحلته والتي وصفها في كتابه المعنون ب(المغرب في بعض عجائب المغرب)<sup>19</sup>.

وكان للفقهاء الأندلسيين الدور الأبرز في ذلك التواصل الثقافي لاعتبار أنهم بقوا لزمين، مارسوا التدريس في المجال الفقهي، ومن هؤلاء الفقهاء الذين كان لهم دور كبير في انتشار الاتجاه الصوفي في بلاد المغرب الأوسط (أبو مدين شعيب بن الحسين) الإشبيلي (520 - 594هـ) والذي كانت له رحلة علمي إلى

- أبو محمد عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرو الوهراني (ت 429هـ/1038م) وهو فقيه مالكي عالم بالحديث وله اهتمام بالطب والحساب ، وقد انتقل إلى اشبيلية .

- أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد الجمعي الوهراني (ت 431هـ/1039م) ، كان حافظا وعارفا بالحديث وقد تعلم بالأندلس.

- محمد بن عبد الله بن مروان الهمداني (ت 601هـ) وهو فقيه وقاض من أهل وهران عاش بتلمسان ، ولي قضاء اشبيلية سنة 592هـ ، وبقي في القضاء إلى أن مات .

- وقد برز في التصوف علماء في المغرب الأوسط خاصة في أواخر القرن الخامس الهجري ، وقد كانت تشد إليهم الرحال من الأندلس ومن مختلف بلاد المغرب ، للأخذ عنهم ، وقد حفظت لنا كتب التراجم والطبقات أسماء لزهاد ومتصوفة من تلمسان وطبنة وقلعة بني حمّاد ، ممن أسسوا لهذا الاتجاه الديني الذي تطور في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، فبجاية وحدها امتلأت بعدد كبير من رجال التصوف والزهد ، أمثال : أحمد بن نصر الداودي المسيلي (ت 402) <sup>29</sup> ، واشتهر من علماء المغرب الأوسط في القرن السادس الهجري أيضا يوسف ابن ابراهيم الورجلاني (ت 570هـ) ، الذي اشتغل بالفقه الإباضي كثيرا ، وعدّ من كبار فقهاء المغرب إلى درجة أن الأندلسيين أثناء فترة إقامته بقرطبة كانوا يلقبونه بالجاحظ ، وله من الكتب (تفسير القرآن) (و الدليل لأهل العقول) <sup>30</sup> .

#### 4. خاتمة:

من خلال ما ذكرنا يمكن أن نخلص إلى نتائج مهمة توصلنا إليها في مقالنا هذا حول ذلك التواصل الثقافي اللافت الذي تم بين عدوتي الأندلس والمغرب الأوسط ونوجز كل ذلك في ما يلي :

1 - الاضطرابات السياسية المستمرة والتي تولّد عنها عدم الاستقرار سياسي ، والذي انعكس بدوره على المجالات كلها ، خاصة الجانب الثقافي الذي بات يصاب بهزات كبيرة بالنظر للطابع الفكري والمذهبي لكل دولة ، يضاف إلى ذلك غياب البيئة الثقافية الآمنة مما أسس لانتقال الطلاب والعلماء إلى حيث تلك البيئة خارج بلاد المغرب الأوسط .

أهلها إليهم طوعا أو كرها .. فأبقوا بها وبأمصارها من الحضارة أئرا..<sup>24</sup> .

#### 2-3 التواصل العلمي من المغرب الأوسط نحو الأندلس :

وبالمقابل برز أيضا توأصلا علميا من المغرب الأوسط إلى الأندلس من خلال انتقال طلاب العلم والعلماء ، وكان كذلك للتحوّلات السياسية الأثر الأكبر في الجدل سواء من باب الجذب بسبب دور الأمراء المتعدد مثلما ذكرنا ، أو نتاج الأزمات والحروب مثل الاستيلاء النصراني على كثير من المدن الأندلسية عبر فترة زمنية طويلة رغم محاولات التصدي من فترة لأخرى ، وكان نتاج كل ذلك انتقال كثير من طلاب وعلماء الأندلس إلى بلاد المغرب عموما ومنها بلاد المغرب الأوسط ومن نماذج هؤلاء نجد:

- أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان التاهرتي البزاز (ت 396هـ/1005م) وهو من علماء تاهرت الذين انتقلوا إلى الأندلس لتلقي العلوم على يد مشائخها وعلمائها ، وهو من جلساء ابن حمّاد التاهرتي حيث رحل إلى الأندلس فسمع من قاسم ابن أصبغ ووهب بن مسرة وأبي بكر الدينوري <sup>25</sup> .

وبرز أيضا مجموعة من علماء وهران الذين زاروا الأندلس واستقروا في عدوتها ومن هؤلاء نذكر <sup>26</sup> :

- يحيى بن عبد الله بن محمد المعروف بالجماني الوهراني ، (م 361 - 430هـ/971 - 1039م) ، والذي استقر باشبيلية ودرس فيها عن أبي عمر بن حفص الهوزني ، ثم درّس فيها وبقي فيها حتى وفاته .

- أحمد بن أبي عون الوهراني (ت 341هـ / 952م) وهو قاض من علماء الفقه المالكي ، نشأ في وهران ثم رحل إلى العدوة الأندلسية في عصر عبد الرحمان الناصر ، واستقر بقرطبة وبها توفي <sup>27</sup> .

- أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن خالد الهمداني ، المعروف بابن الخراز (338 - 400هـ / 949 - 1009م) رحل إلى الأندلس واستقر بجانة ، وقد كان يتردد على قرطبة حيث يبيع فيها بضاعته ، ولبقى بها دروسه <sup>28</sup> .

10- أسهم التواصل الثقافي الحاصل بينهما على إضفاء تنوعا معرفيا لافتا في شتى العلوم .

11- انفتاح الطلبة والمجتمع عموما على ثقافات جديدة زاد ت في النضج الفكري والعلمي وحتى الأخلاقي.

12- دفع التواصل الثقافي المذكور على ظهور النزعة إلى التأليف والكتابة في سائر العلوم .

2 - الاختلافات المذهبية والقناعات الفكرية لتلك الكيانات السياسية ، انعكس سلبا على واقع الحياة في بلاد المغرب عموما والتي اكتست صراعا مذهبيا وفكريا وصل إلى حدّ السيف والتنكيل والأذى ، وهو ما أضر بخاصية الأمن للطلاب والعلماء ، جعلهم يهاجرون إلى مناطق أخرى كالأندلس وبلاد المشرق .

3 - العصبية القبلية كفاعل أساس في مشهد الحياة في العدوتين ، انجر عنه ظهور الصراعات القبلية ، وقد انعكس ذلك على حركية التواصل الثقافي بين العدوتين.

4 - عدم الاستقرار السياسي في العدوتين ، ودفعهما لضربة غالية نتاج الصراعات في بلاد المشرق لكونهما أصبحا محطة ملاذ للثائرين أو الفرق الفارة من الصراع المشرقي مع الأمويين أو العباسيين ، كل ذلك لعب دورا فعالا في مسار حركية ذلك التواصل بما فيه البعد المشرقي في التواصل.

5 - الدعوة الدينية كمنطلق لمجمل الدويلات التي قامت خلال هذه المرحلة ، شكل جانب قوة للحراك الثقافي في البلاد ، لأنه هذه الدعوة تحتم الاهتمام بالعلم والعلماء وهو ما كان فعلا ، انعكس في محطات كثيرة على تشكيل مناخ الجذب الثقافي .

6 - بروز الكثير من الأمراء والملوك في عداد العلماء والحكماء بالنظر لثقافتهم الهائلة التي تميّزوا بها ، والتي جعلت مجالسهم يزينها الأدباء والشعراء والعلماء في مختلف أصناف العلوم ، بل تقربوا من العلماء وجعلوهم وزراء ومستشارين ، وبنو في ظل هذه الأجواء المكتبات ومراكز العلم ، وهو ما شكل بيئة جاذبة للطلاب والعلماء ، ومشجعة على الجدل الثقافي في أعلى مستوياته.

7 - رغم الوحدة والاختلاف السياسي بين العدوتين إلا أن الترابط بينهما كان وثيقا من حيث التأثير والتأثر في مختلف المجالات .

8- انعكاس حركية التواصل الثقافي الحاصلة مع الزمن على الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط .

9 - كان لذلك التواصل الثقافي بين العدوتين تشجيعا لافتا في الدفع التنافس العلمي بين الطلاب والاحتفاء بالعلماء القادمين من الأندلس إلى بلادهم والعكس.

#### 5- المصادر والمراجع المعتمدة :

أولا: القرآن الكريم

ثانيا:

أ - المصادر

- الحموي ياقوت، معجم البلدان ، ج.2 ، ط.2 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1995 .

- الحميدي محمد، جذوة المقتبس في ذكر ولادة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذي النباهة والشعر ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة .



- المقري أحمد بن محمد ، نفع الطيب في غصن الأندلس  
الربط بين وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان  
عباس، دار صادر بيروت لبنان .
- المقدسي شمس الدين ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003.
- ابن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في  
أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان  
الأكبر ، ج 4 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- ابن الخطيب لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق:  
محمد عبد الله عنان ، المجلد الثاني ، مكتبة الخانجي ، 1984 .
- القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، ط.1 ، دار  
الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1998 .
- ب - المراجع
- محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب  
والأندلس ، القسم الأول ، ط.1 ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ،  
القاهرة ، 1964 .
- سامية مصطفى مسعد ، العلاقات بين المغرب والأندلس في  
عصر الخلافة الأموية ، ط.1 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية  
والاجتماعية ، 2000 .
- كمال السيد ، محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته ،  
مركز الإسكندرية للكتاب ، 2007 .
- جميلة راجح ، إسهامات علماء المغرب الوسيط في تنمية  
الدرس النحوي ، أطروحة دكتوراه بإشراف صالح بلعيد ، قسم  
اللغة العربية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2015 .
- محمد الميلي، تاريخ الجزائر العام، المؤسسة الوطنية للكتاب ،  
الجزائر .

<sup>3</sup> - جميلة راجح ، إسهامات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس  
النحوي ، أطروحة دكتوراه بإشراف صالح بلعيد ، قسم اللغة العربية  
، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2015 ، ص.65 .

<sup>4</sup> - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر العام، ص.335 وما بعدها .

<sup>5</sup> - جميلة راجح ، مرجع سابق ، ص.34 .

<sup>1</sup> - سامية مصطفى مسعد ، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر  
الخلافة الأموية ، ط.1 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية  
والاجتماعية ، 2000 ، ص.175 .

<sup>2</sup> - كمال السيد ، محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته ،  
مركز الإسكندرية للكتاب ، 2007 ، ص.35 .

- <sup>26</sup> - عبد القادر بويابة ، الروابط الثقافية والعلمية بين وهران والعدوة الأندلسية ، مجلة إنسانيات ، عدد مزدوج: 23 - 24 ، جانفي - جوان 2004 ، ص. ص. 61- 73
- <sup>27</sup> - ابن الأبار ، التكملة ، ج.1 ، ص. 111
- <sup>28</sup> - أبو العباس أحمد المقرئ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق: إحسان عباس ، ج.5 ، دار صادر ، بيروت ، ص. 172. / ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج.5 ، ص. 386 / ، القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، ط.1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1998 ، ص. 272.
- <sup>29</sup> - جميلة راجح ، مرجع سابق ، ص. 37
- <sup>30</sup> - عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج.1 ، ص. 317 - 318.
- <sup>6</sup> - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج.2 ، ط.2 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1995 ، ص. 7- 9)
- <sup>7</sup> - شمس الدين المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص. 288.
- <sup>8</sup> - جميلة راجح ، مرجع سابق ، ص. 50.
- <sup>9</sup> - عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج.2 ، ص. 27.
- <sup>10</sup> - جميلة راجح ، مرجع سابق ، ص. 51
- <sup>11</sup> - جميلة راجح ، المرجع سابق ، ص. 56
- <sup>12</sup> - سامية مصطفى مسعد ، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية ، ط.1 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2000 ، ص. 205.
- <sup>13</sup> - جميلة راجح ، المرجع سابق ، ص. 62
- <sup>14</sup> - سامية مصطفى مسعد ، مرجع سابق ، ص. 176
- <sup>15</sup> - ابن بشكوال ، الصلة ، ج.1 ، ص. 38.
- <sup>16</sup> - الحميدي ، جذوة المقتبس ، ترجمة رقم 223)
- <sup>17</sup> - ابن الأبار ، الحلة السرياء ، ط.1 ، ج.2 ، ص. 185
- <sup>18</sup> - أمينة سليمان البدوي ، الرحالة الأندلسيون والمغاربة ورحلاتهم من ( ق 3 هـ - ق 9 هـ ) مجلة دراسات ، المجلد 41 ، العدد 2 ، 2014 ، ص. 401.
- <sup>19</sup> - أمينة سليمان البدوي ، المرجع السابق ، ص. 401.
- <sup>20</sup> - محمد الطمار ، تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص. 70- 71.
- <sup>21</sup> - محمد الطمار ، المرجع سابق ، ص. 76.
- <sup>22</sup> - عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين ، القسم الأول ، مكتبة الخانجي ، 1990 ، ص. 439.
- <sup>23</sup> - لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق: محمد عبد الله عنان ، المجلد الثاني ، مكتبة الخانجي ، 1984 ، ص - ص. 515 - 521.
- <sup>24</sup> - عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، ص. 375.
- <sup>25</sup> - سامية مصطفى مسعد ، مرجع سابق ، ص. 194.